المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي | الإصدار الخامس والأربعون | تاريخ الإصدار: 5-1-2023 م
ISSN: 2706-6495

جماليّات المكان في القصّة القصيرة (دراسة في إطار مجلة "حِسْمَى" الصادرة عن النادي الأدبي بتبوك)

The Aesthetics of the place in the short story

A study in (Hisma) magazine published by the Literary Club in Tabuk

إعداد: الدكتور/ علي يحيى نصر عبد الرحيم

الأستاذ المشارك في الكلية التطبيقية، جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية

E-mail: aabdelrahem@ut.edu.sa

الدكتور/ محمد مصطفى ليلة

الأستاذ المشارك في كلية التربية والآداب، جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية

E-mail: Mohamed0101741507@yahoo.com

الملخص

هذا البحث يقارب (القصة القصيرة) المنشورة في مجلة (حِسْمَى) إحدى إصدارات النادي الأدبي بتبوك التي عُنيت بنشر نتاج أدبي قوي ومتنوع، والتي تتميز بتعدّد ثقافة القاصّين، وتمكّنهم من آلتهم اللغوية، وقد ناقش البحث معالجة المكان فنيًّا لدي قصاص مجلة حسمى؛ حيث التعبير عن المضامين من خلال تعميق سطوة المكان على القصة؛ من أجل التوصل لإحداث التأثير الجمالي عبر عدد من الدلالات النفسية والاجتماعية، ومن خلال إظهار رؤية الكاتب الفلسفية للمكان، ومن خلال تعددية المشاعر والأحاسيس والأفكار المتوالدة ضمن المكان، وما يثيره في نفوس الشخصيات. وقد اتّسمت القصة القصيرة المنشورة في (حسمى) بتنوّع أنماط البناء الفني، بما يؤدي إلى أنّ القصة العربية القصيرة تشهد تغيّراً جذريا في مكوناتها، وفي مستويات بناء عناصرها، وطرائق تعبيرها، بالتوازي مع حركية المجتمع في بنيته الفكرية والثقافية والاجتماعية، وفي رؤيته للعالم، ومن خلال البحث بدا أن وظائف وصف المكان تنوعت ما بين تفسيرية وإيهامية ورمزية، وإذا كان (المكان) في بناء القصة القصيرة يُعدّ واحدًا من أهم مرتكزات الجمال الفني فيها، فمن خلال دراسة الفضاء المكاني في القصص القصيرة المنشورة في مجلة (حسمى)، من حيث: أشكاله، وأنماطه، وفنيّات تناوله وتشكيله، وأنواعه، ودلالته، وواقعيته أو رمزيته، ودوره في تحقيق الأثر الجمالي، يقف البحث على خصائص فنية متعددة لها دورها في تشكيل جماليات فنّ القصة القصيرة العربية.

الكلمات المفتاحية: السرديات، أدب القصة القصيرة، البناء القصصي، عناصر القصّ، جماليات القصّ

ISSN: 2706-6495

The Aesthetics of the place in the short story

A study in (Hisma) magazine published by the Literary Club in Tabuk

Authors: Dr. Ali Yahya Nasr Abdel Rahem

Associate Professor, Applied College, University of Tabuk, K.S.A

Dr. Mohammed Mustafa lelaa

Associate Professor, Faculty of education and arts, University of Tabuk, K.S.A

Abstract

This research approaches (the short story) published in (Hisma) magazine, one of the publications of the Literary Club in Tabuk, which is concerned with publishing a strong and diverse literary production, which is characterized by the multiplicity of the storytellers' culture, and their ability to use their linguistic machine. Where the contents are expressed by deepening the power of the place over the story; In order to achieve an aesthetic effect through a number of psychological and social connotations, and by showing the writer's philosophical vision of the place, and through the multiplicity of feelings, feelings, and ideas generated within the place, and what arouses it in the hearts of the characters. The short story published in (Hisma) was characterized by the diversity of artistic construction patterns, which leads to a radical change in the Arabic short story in its components, in the levels of building its elements, and in the methods of its expression, in parallel with the movement of society in its intellectual, cultural and social structure, and in its view of the world, and from During the research, it seemed that the functions of describing the place varied between explanatory, delusional, and symbolic, and if (the place) in constructing the short story is considered one of the most important pillars of artistic beauty in it, then through the study of the spatial space in the short stories published in (Hisma) magazine, in terms of: Its forms, patterns, techniques of handling and composition, types, significance, realism or symbolism, and its role in achieving the aesthetic effect. The research stands on multiple artistic characteristics that have a role in shaping the aesthetics of the art of the Arabic short story.

Keywords: short story literature, narrative structure, elements of storytelling, aesthetics of storytelling.

ISSN: 2706-6495

1. المقدمة:

تشهد المملكة العربية السعودية حراكًا ثقافيًا وأدبيًا واسعًا وملموسًا من خلال العديد من المناشط والفعاليات التي من بينها تلك الإصدارات الأدبية والثقافية التي تشرف عليها الأندية الأدبية بالمملكة، ومن خلال إصدارات النادي الأدبي بتبوك تحديدًا، تمّ تقديم نتاج أدبيّ قويّ ومتنوّع على صفحات مجلة (حِسْمَى)، التي عُنيت بنشر (القصة القصيرة)، و(الشعر)، و(المسرح)، و(الأدب المترجم)، من خلال أعدادها التي انتهت إلى سبعة في (شوال 1433هـ)، إلى جانب الدراسات والمقالات الأدبية النقدية المنشورة في مجلة (أفنان) الصادرة عن النادي الأدبي ذاته. والحقيقة أنّ (القصة القصيرة) المنشورة في مجلة (حِسْمَى) تتميّز بتعدد القاصّين وتنوّع ثقافاتهم، كما تتميّز بتعدد أنماط البناء الفني القصصي وتنوع أشكاله.

وعنصر (المكان) في السرديات الأدبية يمثّل أحد مرتكزات الجمال فيها، وهو من أهم المشكلات في تشكيل العمل القصصي، وتزداد أهميته في بناء الحكي بشكل خاص، فالمكان هو الحيز الذي يؤطّر الأحداث، والمسرح الذي تتحرك فيه الشخصيات (مرزوقي، وشاكر، 1979م، 108). ويكتسب المكان أهمية خاصة في أعمال القاصّ، وذلك بتوظيفه كعامل من عوامل بناء الشخصية وتشكيلها، بوصفه وسيلة للتعرّف على العالم الخارجي، ويعدّ المكان عنصراً فاعلًا في البناء القصصي، حيث يتخذ أشكالًا تحتوي مضامين عدة، وذلك من خلال انعكاسه على العمل القصصي، ويعكس المكان ما يدور بخاطر الشخصيات من أحاسيس مفرحة أو محزنة، أو الشعور بالأمن والطمأنينة أو الخوف والقلق، ومن ثمّ تخيّر الباحثان هذا الموضوع حقلًا لدراسة نقدية، تقوم على إبراز دور الفضاء المكاني، بأنواعه وأشكاله، وكيفية تشكيله في أحد مناشط النشر لدى النادي الأدبي بتبوك.

1.1. أهمية الدراسة:

يتجاوز المكان في القصة كونه مجرد إطار لها، إلى كونه عنصرا فاعلًا مشحونا بدلالات يكتسبها من خلال علاقته الجوهرية بالإنسان وكيانه. وثمة علاقة وثيقة متداخلة بين المكان والشخصيات، كما أنه مرتبط بالأحداث ارتباطاً قوياً، ومن خلال دراسة الفضاء المكاني في القصص القصيرة المنشورة في مجلة (حسمى) التي يصدرها النادي الأدبي بتبوك، من حيث: أشكاله، وأنماطه، وفنيّات تناوله وتشكيله، وأنواعه، ودلالته، وواقعيته أو رمزيته، ودوره في تحقيق الأثر الجمالي، يقف البحث على خصائص فنية، لها دورها في تشكيل جماليات فنّ القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث؛ إذ إنّ مجلة (حِسْمَى) تميّزت بتعدد القاصّين وتنوّع ثقافاتهم؛ بتنوع جنسهم وجنسياتهم، ومدارسهم الأدبية، وهذا التعدد والتنوع يعطي زخمًا كبيرًا سوف يظهر صداه في نتائج البحث.

2.1. حدود الدراسة:

يدخل في حيّز هذه الدراسة القصص القصيرة المنشورة في مجلة (حِسمى)، بداية من العدد الأول الصادر في جمادى الأولى 1430هـ/مايو 2009م، حتى العدد السابع الصادر في شوال 1433هـ/ سبتمبر 2012م، وهو آخر عدد تم إصداره من المجلة.

3.1. أسئلة الدراسة:

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما مفهوم المكان في العمل القصصي؟ وما أهميته في البناء الفني للقصة القصيرة؟ وكيف اختلفت معالجة (المكان) فنياً في القصة القصيرة المنشورة في مجلة (حسمى) من قاص لآخر؟

وما الأشكال والأنماط المكانية التي بني عليها القصّ هنالك؟ وما الجماليات الفنية الناتجة عن هذا التشكيل؟ وهل ثمة ما يميّز القصة القصيرة السعودية في هذا الصدد عن غيرها من حيث تشكيل المكان في القصّ؟.

4.1. الدراسات السابقة:

درس عدد من الباحثين الأجانب والعرب (المكان) عنصرًا حيويًّا وفاعلًا في تشكيل جماليّات العمل الأدبي بشكل عام، والفن القصصي على جهة الخصوص، ويأتي غاستون باشلار في طليعة الباحثين الذين أسسوا تصورًا نظريا تنبني عليه دراسة المكان، من حيث القيم الرمزية المرتبطة بالمناظر التي تتاح لرؤية السارد، أو الشخصيات سواء في أماكن إقامتهم كالبيت والغرف المغلقة أو في الأماكن المنفتحة الخفية أو الظاهرة المركزية أو الهامشية، وذلك في دراسته المميزة الموسومة بـ (جماليات المكان) التي ترجمها للعربية غالب هلسا، وطبعتها المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ببيروت عام 2000م. كما عالج يوري لوتمان المكان ودلالاته في كتابه المترجم إلى الفرنسية عام 1976م، والمعنون بـ (بناء العمل الفني)، وقد انطلق لوتمان في تحليله للمكان الفني من مقولة أساسية مؤداها أن اللغة هي النظام الأولي لتحويل العالم إلى أنساق، ونظر (لوتمان) إلى العمل الفني نظرة خاصة: فالعمل الفني مكان محدد المساحة، فمن جانب يشغل العمل الفني حيزاً معيناً في الكون الفسيح، ومن جانب آخر يمثّل في هذا الحيز المحدود حقيقة أوسع منه وأشمل هي: العالم اللامتناهي، ويتم هذا التمثيل من خلال مجموعة من القواعد المتفق عليها ضمناً، هي التقاليد الفنية، وهذه القواعد هي أساس النظام المنمذج.

أمّا عن الدراسات العربية فتعدّ د. سيزا أحمد قاسم رائدة في هذا المجال، حين قامت بتعريب الفصل المتعلق بمشكلة المكان الفني من كتاب يوري لوتمان (عالم الرواية)، وقد تعددت الدراسات القائمة على الاعتناء بالمكان في الفن القصصي والروائي، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: دراسة محمد عزام (فضاء النص الروائي)، ودراسة مصطفى الضبع (استراتيجية المكان)، ودراسة شاكر النابلسي (جماليات المكان في الرواية العربية).

2. مصطلحات عنوان البحث:

1.2. مفهوم المكان:

يختلف الباحثون في إطلاق المصطلحات فيما يخصّ (المكان) في تشكيل العمل الأدبي، فالباحث حميد لحميداني -مثلًا- يميّز بين مصطلحي (فضاء)، و(مكان)، ويرى أنّ الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكوّن الفضاء، وما دامت الأمكنة في الروايات غالبًا ما تكون متعددة، ومتفاوتة، فإنّ فضاء الرواية هو الذي يلفّها جميعًا، إنه العالم الواسع (لحميداني، 2007م، 63)، بينما آثر عبد الملك مرتاض استعمال مصطلح (الحيّز/espace) بديلًا عن (المكان) و (الفضاء)، مستندًا إلى أنّ "الحيّز ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن والثقل والحجم والشكل... على حين أنّ المكان نقفه في العمل الروائي على الحيز الجغرافي وحده، أما الفضاء فمعناه جاريا في الخواء"(مرتاض، 1997، 141)، ومن ثمّ استبدل مرتاض (المكان) كمصطلح نقدي بـ (الحيز)؛ لأنّه يرى أنّ الأول لا يشمل سوى المكان الجغرافي المادي المدرك بالحواس، أما مصطلح (الفضاء) فحسب رؤيته يعني: "الأجواء العليا التي لا سيادة لأي بلد فيها"(مرتاض، 1992م، 102). ويبدو أنّ مصطلح الفضاء هو الأكثر شيوعًا وانتشارًا لدى غالب الباحثين، ذلك أنّه يحتوي مجموع الأمكنة في العمل القصصي،

إنّه الفضاء المطلق الذي "لا يوجد في أي مكان، لا مكان له، ذلك لأنّه يجمع كل الأمكنة، ولا يمتلك إلا وجودًا رمزيًّا" (نجمي، 2000م، 51)، ولأنّ القصة القصيرة تمثل العالم الأصغر للرواية، فإنّ اختيار مصطلح المكان يبدو الأقرب إلى القصة القصيرة.

2.2. القصّة القصيرة:

لونٌ من ألوان الأدب الحديث، ظهر في أواخر القرن التاسع عشر، وله خصائص ومميزات شكلية معيّنة، فالقصّة تروى خبرًا، وليس كل خبر قصة، ما لم تتوافر فيه خصائص معينة، أوّلها أن يكون له أثر أو معنى كلي، أي أن تتصل تفاصيله أو أجزاؤه بعضها ببعض، بحيث يكون لمجموعها أثر أو معنى كلي. كما يجب أن يكون للخبر بداية ووسط ونهاية، بمعنى أن يصور ما نسميه بالحدث. ولكي يصبح الحدث كاملًا يجب أن يتضمن بالإضافة إلى كيفية وقوعه زمنه ومكانه وسبب وقوعه، ولكي تكتمل للقصة مقومات الشكل يلزم أن تصور حدثا كاملًا يجلو موقفًا معيّنًا، فكاتبها إنما يهتم بتصوير موقف معين في حياة فرد أو أكثر لا بتصوير الحياة بأكملها، فالذي يعنيه هو أن يجلو هذا الموقف، أي أن يستشف منه معنى معينا يريد إبرازه للقارئ، ولذلك فإن النهاية في القصة القصيرة تكتسب أهمية خاصة، إذ هي النقطة التي تتجمع فيها وتنتهي إليها خيوط الحدث كلها، لذلك سميت بلحظة التنوير(وهبة، والمهندس، 1984م، 292). وقد ازدهر هذا اللون من الأدب في أرجاء العالم المختلفة، طوال قرن مضى على أيدي (موباسان، وزولا، وتورجنيف، وتشيخوف، وهاردي، وستيفنسن)، ويعد (إدجار ألن بو) من رواد القصة القصيرة الحديثة في الغرب. وفي العالم العربي بلغت القصة القصيرة درجة عالية من النضج على أيدي (يوسف إدريس) في مصر، وعدد من القصاص الرواد في باقي البلدان العربية.

3.2. النادي الأدبي بتبوك:

أحد الأندية الأدبية المنتشرة في ربوع المملكة العربية السعودية، التي يرجع الفضل في إنشائها إلى الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز -رحمه الله-، وقد تأسس النادي الأدبي بتبوك عام 1415هـ، ومنذ ذلك التاريخ قام النادي بدوره في رعاية المواهب وتشجيع المثقفين والأدباء بما أتاحه لهم من خدمة ورعاية، وللنادي عدة أنشطة أدبية وثقافية، منها: المحاضرات، والأمسيات الشعرية، والندوات الأسبوعية (الاثنينيات)، كما أن للنادي عدة إصدارات منها المجلات: (أفنان)، و(ضفاف)، و(حِسمى)، وقد أصدر النادي عدداً من البحوث والدراسات منها: (رياضات في علم الفرائض) ومسائل في علم المواريث)، و(مدائح الرسول - ﷺ ومراثيه في عصره)، و(شعراء من منطقة تبوك)، و(لهجة بني كلاب).

4.3. مجلة حِسمى:

مجلة دورية إبداعية، تصدر عن النادي الأدبي بمنطقة تبوك، صدر منها سبعة أعداد، وكان صدور العدد الأول في جمادى الأولى 1430هـ/مايو 2009م، والسابع في شوال 1433هـ/ سبتمبر 2012م، وتعنى المجلة بنشر الأعمال الإبداعية من: القصة القصيرة، والشعر، والمسرح، والأدب المترجم، وقد أشرف عليها من العدد الأول حتى الخامس الدكتور مسعد بن عيد العطوي، وأشرف على العدد السادس د. أحمد حسين العسيري، ويشرف عليها منذ العدد السابع د. نايف الجهني، ورأس تحريرها في جميع أعدادها م. محمد فرج العطوي. وقد أطلق على المجلة اسم (حِسمَى) بكسر الحاء وسكون السين وفتح الميم استدعاء للتاريخ والجغرافيا في آنٍ، فـ(حسمى) سلسلة هضاب تقع في منطقة تبوك.

ISSN: 2706-6495

3. الأشكال المكانية:

إذا نظرنا إلى الأمكنة التي تشكل إطار الأحداث القصصية في القصة القصيرة المنشورة في مجلة (حسمى) نجد أن ثنائية (المغلق/المفتوح) تطرح نفسها بشكل أساسي، حيث يمكن تنويع فضاء المكان وتقسيمه إلى:

- **المكان المفتوح**: كفضاء المدينة، والصحراء، والشوارع، والحدائق العامة...إلخ.
- **المكان المغلق**: كفضاء البيت، والدار، والخيمة، والمقهى، والمستشفى، والسيارة.

فإذا كانت الأمكنة تختلف بالنظر إلى أشكالها، وبيئتها، وأهميتّها في القصة، فإنها "تخضع في تشكيلاتها إلى مقياس آخر مرتبط بالاتّساع والضيق، أو الانفتاح والانغلاق، فالمنزل ليس هو الميدان، والزنزانة ليست هي الغرفة؛ لأنّ الزنزانة ليست مفتوحة دائمًا على العالم الخارجي بخلاف الغرفة، فهي دائمًا مفتوحة على المنزل، والمنزل على الشارع، وكلّ هذه الأشياء تقدم مادة أساسية للقاصّ لصياغة عالمه القصصي. (لحميداني، 1991، 85)، وسوف يعرض البحث أشكال المكان في القصة القصيرة المنشورة في مجلة (حسمى) فيما يلي:

1.3. المكان المفتوح

الأمكنة المفتوحة هي التي تكون متاحة لجميع الشخصيات القصصية، حيث لا تحدّها حواجز، وتسمح للشخصية بالتطور والحركة والحرية، وذلك كالمدن والشوارع وما شابه ذلك..، بخلاف الأمكنة المغلقة، كالبيوت، والغرف، والسيارات، وما شابهها في السرد القصصي. ومن الأمكنة المفتوحة التي تم توظيفها في قصص (حسمى):

- **<u>الشارع</u>**

يعد فضاء (الشارع) في القصة القصيرة المنشورة في مجلة (حسمى) أحد الفضاءات المفتوحة للشخصيات الموجودة فيها، حيث عبر القاص من خلالها عن الصور والمفاهيم التي تساعدنا على تحديد سماتها الأساسية، والإمساك بمجموع القيم والدلالات المتصلة بها؛ فالشارع أحد ملاذات الشخصيات القصصية للهروب من ضيق الداخل المختنق إلى الخارج المفتوح حيث الفضاء المنفتح والنابض بالحياة، وهو الشارع الذي يتحرك فيه الناس كل يوم وكل ساعة. ويعد الشارع فضاءً مفتوحًا تكتنفه العلانية، يحمل ذكريات الإنسان المفرحة أو المترحة، ويصبح ذا أبعاد رمزية ودلالية، كل ذلك نجده في قصة (فلما اعتلى الرجل الكوبري) للقاص المصري السيد عبد العزيز نجم الذي جعل كوبري (أحمد حلمي) الشهير الواقع عند محطة القطار الرئيسة محطة مصر أو (رمسيس) بمدينة القاهرة محورًا لقصته: "توقف عند ذروة المنحنى ونهاية مطلع الكوبري ثم أشعل سيجارة، لسنوات طويلة يعبر محفوظ كوبري (أحمد حلمي) وهو في طريقه إلى عمله في بداية شارع شبرا، اتّكأ على سور الكوبري، سرعان ما ارتبك المرور فوق الكوبري، انداح الرجل بعيدا عنهم إلى جعبة الأصوات والروائح والدنيا الجديدة التي تصيدها من فوق الكوبري، وعلى مرمى ناظريه تحت الكوبري، فجأة انطلقت صفارة قطار قريب يغادر الرصيف بمحطة مصر حالًا، بدأ الصوت مقلقًا ولا يستطيع تميزها من فوق الكوبري...."(حسمى، العدد1، 2009، 43)، وفي القصة حمّل القاصّ (كوبري أحمد حلمي) بعدة إيحاءات للتعبير عن حالة الشخصية (محفوظ) التي وصلت إلى مرحلة الاستواء بعد مضي العمر (ذروة المنحنى ونهاية مطلع الكوبري) كما أنّ الكوبري صار رمزًا للاعتياد.

وفي قصة (فتات الأمل) للقاصة العمانية إيمان فضل نجد الشارع يذكّر بذكريات أليمة مرت بالشخصيات القصصية، كما أنه صار مكانا للتنفيس عن الفراغ، وغدا يمنح القاصّ مجالا واسعًا لمعالجة موضوعات مرتبطة بالشارع، وذلك بالتصريح أو بالرمز والإيماء، ففي القصة: "كيف يسمح له غرور نفسه أن تتجاوزه فتاة في الشارع بسيارتها المرسيدس؟! لم ينتبه لذلك الرجل المسن الذي يجتاز الشارع تحت الجسر، حاول أن يمنع السيارة من الاصطدام بالرجل لكنه لم يستطع... وها هو رجل غريب في الشارع يسحبني من السيارة... كانت الرؤيا بلا ملامح بلا حدود مشوهة كزجاج السيارة المغسول بالدم... أراد أن يجتاز الشارع أمسكت ذراعه لتمنعه: لنستخدم جسر المشاة.... عاندها – سأقطع الشارع.... منعه كبرياؤه من أن ينظر له نظرة أخيرة قبل أن يقطع الشارع" (حسمى، العدد1، 2009، 38).

- **الصحراء**

فضاء الصحراء في القصة القصيرة المنشورة في مجلة (حسمى) من الأماكن العامة المفتوحة، إنها الأرض الغامضة، أرض الجمال الساحر، أرض مليئة بالكثبان الرملية البراقة التي قد صبغها الضوء المتعاقب بين الليل والنهار، وتتعاقب الفصول بألوان رمادية بيضاء وصفراء حيث ترسم في الأفق رؤى يختلط فيها الواقع مع الخيال وحين تريد مغادرتها فإنك تواجه مساحات فيحملك تلاعب الأضواء والألوان إلى عالم أخر عالم السراب والأحلام وتأتي العواصف الرملية تجر معها بعض التراب كأنها تراقصه. والصحراء هي ذاك المكان القفر الموحش الذي لا مكان فيه للضعفاء، هكذا تمّ تصويرها في قصة (رقصة الدّحة) للقاص العراقي نجم السراجي: "ستلاحقك لعنة الصحراء "أبي".. نفسك الأمارة بالسوء أوحت إليك لتطغى ... سأذكرك بأنك أبي الذي طردنا إلى ظلمة الليل وتركنا في ذمة الصحراء....حبات الرمل لا تعرف الخيانة بطبعها ، وكثبان الرمال كقلب أمي قد تسامح لكنها لا تنسى...حين أرى ضعفك وهوانك سأجمعك بها على حبات الرمل في المدى المطلق للصحراء بحضور القمر وضجيج بيوت الشعر المتناثرة المترامية.....في مملكة الصحراء لا مكان للضعفاء....انطلقت كلبوة جريحة وهي تضمني بشدة إلى قلب الأم الكسير في طريق طويل عبر الصحراء...انطلقت أسرع ينير لها القمر تلك الكثبان الرملية، ينعكس الضوء البلوري على المديات المفتوحة المنداحة نحو المجهول...لم يساورها أي خوف من التيه والضياع بين براثن صحراء بكر.. تمد بصرها، تطارد المساحات الممدودة والأفق اللامتناهي على أمل الوصول، ليس ثمة وجه السماء وبساط ممدود من الرمل والحصى والزواحف والأخاديد وفحيح الأفاعي وارتداد صدى الوحوش الضواري ينقله الريح وصمت البرية والسكون..." (حسمى، العدد 5، 2011، 41)، وفي قصة (أغنية الحطاب الأحدب) للقاص السعودي ناصر سالم الجاسم جاء تشكيل فضاء الصحراء بشيء من التخييل لإظهار الحالة النفسية السعيدة للشخصية: "القمر بدر وطيور الليل تصلي في أعالي الجبال. وفوق الغمام، وفي الصحاري المتربة الشاسعة وعلى سطح البحر وفي الأودية، والجنيات مشطن شعورهن الطويلة، وطيبنها، وفررن من بيوتهن، ومن أجساد النسوة المسحورات إلى ساحات الرقص والغناء يحملن الدفوف.... والحطاب الأحدب بعد أن أعانته زوجته في مغادرة الفراش اعتد بعدة الاحتطاب، فأسه وحباله ليغنم أجود الحطب قبل زملائه ويبيعه في السوق قبل أ، يصفوا حطبهم إلى جانب حطبه، لم تعنه حدبته الشديدة في أن يقف منتصبا في الصحراء القريبة ليحدد بعينيه مواقع جديدة للاحتطاب.... لم تكن الحطبات الأولى التي جناها بمرضية له، فتوغل أكثر في الصحراء، ونور القمر الكثيف يطمئنه..."(حسمى، العدد2، 2010، 12).

ISSN: 2706-6495

2.3. المكان المغلق

تلعب الأمكنة المغلقة دوراً مهما على مستوى الفهم والتفسير والقراءة النقدية، وتسعى إلى عرض العلاقة اللصيقة بينها وبين شخصياتها القصصية من جهة، والمجتمع وحياة الشخصيات الاجتماعية والثقافية والسياسية من جهة أخرى، وهي تعبر عن خلجات شخوصها الذين يقيمون فيها، حيث تفوح منها رائحة التفاعل الملموس بين أناسها، لأنها خاصة بعدد محدود من الأشخاص الذين يقطنون فيها أو يترددون عليها، ولها خصوصياتها وتأثيراتها على شخوصها، وتعد الأمكنة المغلقة ظاهرة مكانية مجتمعية، تؤثر في أشخاصها ويؤثرون فيها بما يملكون من عادات اجتماعية وأخلاقية. والأمكنة المغلقة متعددة، منها الأليفة كالبيت الأسري، وما فيه من حجرات خاصة، وكذا الخيمة ...ومنها الأمكنة المغلقة غير الأليفة: كالمستشفى، وثقب الباب، ومنها المسليّة التي تأوي الشخصية التي تبحث فيها عن الألفة والأمان لمدة طويلة، فهي المأوى الإرادي للإنسان كالملاهي والمقاهي. وقد ظهر كثيرًا من هذه الأماكن المغلقة في القصة القصيرة في مجلة (حسمى):

- **البيت**

يعد البيت المكان الأول الذي يوجد فيه الإنسان، فهو عالمه الشخصي الذاتي، فيه تتكشف خبايا نفسه، وفيه يعبر عن مواقفه إزاء ما يحدث حوله، فهو مكان الألفة والحماية، وهو محل التزاور بين الأصحاب والجيران، كما كان في قصة (أغنية الحطاب الأحدب): "حلّ الضحى في بيت زوجة الحطاب الأحدب، وحلت جارتها حولها وحل فوق حجرها قماش جديد ابتاعته من بائع الأقمشة الجوال على حماره. وحلت في يدها الإبرة والخيوط، خيط على خيط في ثقب الإبرة لتخيط لنفسها سروالا تهنأ به مع زوجها... انصرفت الجارات بعد أن انتهت خياطة السروال، وتم تعليقه على المسمار المثبت في جدار الطين، دخل الحطاب بيته وكيس ذهب فوقه كيس فضة فوق رأسه....فهبت زوجته قائمة وارتدت سروالها الجديد بسرعة..."(حسمى، العدد 2،2010، 12) فالبيت مسكن من الطين، وفيه تخيط المرأة لباسها، وفيه يتزاور الأصحاب والجيران ويتسامرون، والبيت أيضًا هو مكان القعيد العاجز البائس الذي لا يستطيع مشاركة الآخرين أعمالهم، فقد أقعده عجزه ويأّسه ، فصار البيت مسكنه ومأواه ورفيقه الذي لا يفارقه، يبث له شكواه وآلامه، وليس عليه إلا الصبر فهو لا يملك غيره، كان ذلك في قصة (يائس) للسعودية بسماء علي الجاهل: "وحدي .. أمكث وحدي، أغلق الباب خلفي، وأظل أجتر آهاتي الحزينة، الكل من حولي مستعجل فالدقائق تعني الكثير لهم، وحدي أنا فقدت وقتي، يعلو ضجيجهم في الصباح الكل ذاهب إلى الحياة، إلى العمل، تصم أذني أصوات إغلاقهم للأبواب، أصوات أبواق سياراتهم العجلى، وأظل قابعا في ركني البعيد، أظل وحدي في المكان أتسأل: ماذا يمثل هذا الباب الجاثم في أقصى الغرفة؟ إنه يمثل الحد الفاصل بين الموت والحياة... في الصباح وسط الصالة الكبرى أرقب تحركاتهم ...استعدادهم لاستقبال هذا اليوم الجديد ...وينسوني وسط انشغالهم وسط ذهابهم وإيابهم، وما هي إلا لحظات حتى يخلو البيت تماما إلا مني ..... أنسحب بهدوء وضجر إلى غرفتي. إلى ركني الحزين.. وأنتظر فأنا الآن أجيد فن الانتظار والصبر.. ليس لأن الصبر فضيلة بل لأنني لا أملك سواه، لأن الحرمان علمني إياه.."(حسمى، العدد2، 22)، ومن الواضح أنّ القاصة السعودية بسماء الجاهل استخدمت فضاء (البيت) للتعبير عن الحالة النفسية المزرية التي تحيط بكل قابع في البيت، وليس له عمل يمارسه في المجتمع. وفضاء البيت أحد أهم الفضاءات التي يهتم بها القاص اهتماما خاصا لما يتميز به من أهمية خاصة على الصعيد النفسي وبما تثيره عملية التذكر من أحاسيس ومشاعر، ففي قصة (انكسار) للقاصة السعودية ليلى الأسمري تتحدث القاصة عن الغرفة التي صارت كسجن،

حيث استحال البيت إلى موت للحريات لدى ذوي الإعاقة: "وأنا أتأملها من نافذتي في الطابق العلوي وهي في الطابق السفلي في العمارة المقابلة.... ليتني أستطيع الخروج من حجرتي بل سجني.. خرجت بالكرسي المتحرك حتى اقتربت من السلم..... ويأتي الصباح وتضيع منى الحكاية فأعود لغرفتي" (حسمى، العدد1، 2010، 71).

- **المقهى**

فضاء (المقهى) في القصة القصيرة من الأماكن العامة المغلقة، ترتادها الشخصيات لتمضية وقت للاستراحة أو التسلية وشغل الفراغ، كما أنها مكان للتعارف والتحدث في الأمور العامة، وقد كثر دوران هذا المكان في القصة القصيرة في المنشورة في مجلة (حسمى)، ولعل في ذلك إشارة إلى ما يعتري غالبية المجتمعات العربية من هموم وأوجاع تجعلهم يلجؤون إليها للتنفيس عما بداخلهم، ومن ذلك ما جاء في قصة (رائحة الخدر الثقيل) للقاص السوري حسين محي الدين سباهي: "غلب ساري النعاس فنام على الأريكة في آخر المقهى.. ما أن رمق الأريكة العتيقة في ركن المقهى الذي بدأ يلفظ زبائنه حتى جلس عليها.. امتلأت ردهة المحل بجسد الزوجة...ينداح الجميع بسرعة في الشوارع المظلمة التي تتفرع عن المقهى...الطريق إلى الكوخ الموجود تحت السلم يخترق الساحة الرئيسية والشارع العريض ويمر بالحارات والأزقة الضيقة.. كم يرتاح لبلاط المقهى الذي هو أرحم على أقدامه من أرصفة المدينة المزدحمة بالمطبات والحفر..."(حسمى، العدد4، 2011، 52)، فضيق المسكن وبعده، وكثرة الهموم، وشدة ازدحام المدينة وسوء طرقها، كل ذلك جعله يهوى المقهى ويأوي إليها للجلوس فيها. والمقهى هو ذلك المكان الذي يلجأ إليه الناس عندما لا يجدون بغيتهم في الأماكن الثقافية العامة، ففي قصة (روّاد القاعة) للقاص عبد الباقي يوسف من سوريا، نرى الصراع بين روّاد القاعة الذين يشاركون في المناشط الثقافية التي تدور فيها وبين المقهى: "لحظ بعض رواد القاعة أن عدد الحضور يتضاءل...مضى السيد عارف مع صديقين له بتمهل نحو قلب المدينة....قاعتنا مكيفة ومغرية للجلوس فيها...القاعة لا تقبض اشتراكا.....نذكر حضور شخص غريب إلى قاعتنا....هؤلاء الذين باتوا يفضلون المقهى على القاعة...كأنه ليس من أبناء البلدة.. هذه القاعة مفتوحة للجميع...إقناع ذاك الرجل ليجلس في المقهى.. بدل القاعة...كان صاحب المقهى يفاوض جاره ليشتري مكتبته.. ويجعلها توسعة للمقهى.. دخل هذه المكتبة لا يقدم مصروفك...لك ضيافة مجانية في مقهاي....كان عارف يراقب الرجل ليتأكد بأنه موجود في المقهى.....حضور ذاك الرجل في المقهى....بدأت الأقدام تخف من المقهى....بدأت القاعة تستعيد حيويتها.." (حسمى، العدد6، 2012، 62)، وكأن الصراع بين رواد القاعة والمقهى هو هذا الصراع الكائن بين الحق والباطل إلى قيام الساعة. والمقهى هو ذاك المكان الذي لا يغلق أبوابه إلا نادرًا، ولذا صارت ملجأ لكل خارج عن النظم والقوانين، ففي قصة (عراء) للقاصة المغربية نادية بلكرش: "انتبه سعيد إلى صوت من الناحية الغربية للحديقة، إنه أول مقهى يفتح أبوابه هذا الصباح، لكل من تقذف به حافلات "الدار البيضاء" أو "وادي زم" تحسس سعيد ساعته اليابانية، إنها الرابعة صباحا، انكمش على نفسه واتجه صوب المقهى، الكراسي فارغة إلا من سائق شاحنة يغالب النعاس، وهو يرشف من كأس القهوة... وأمام الواجهة الزجاجية للمقهى وقفت سيارة الرونو البيضاء، نزل منها شرطيان، ثم دخلا المقهى وأعينهم تمسح كل شيء.." (حسمى، العدد6، 2012، 76). ويمكن القول إن المقهى مكان نصف مغلق، وذلك لأنه يحمل في تكوينه شيئا من خاصية البيت، أو مكان نصف مفتوح بسبب كثرة روّاده، فهو يحمل شيئا من خاصية الشارع، حيث يستقبل جميع الناس دون استثناء.

4. معالجة المكان فنيًّا

يكتسب المكان أهمية خاصة في أعمال القاصّ، وذلك بتوظيفه كعامل من عوامل بناء الشخصية وتشكيلها، بوصفه وسيلة للتعرّف على العالم الخارجي، لكن عالم الواقع الذي يقدّمه القاصّ في غالبية قصصه يبدو أكثر وضوحًا من الناحية التصويرية، وأكثر رسوخًا من الناحية العاطفية، وأكثر نجاحًا من حيث الإيهام بالواقع عن العالم الخيالي الذي تدور فيه أحداث قصصه؛ لأنّ القاصّ في قصصه يحاول أن يخلق المكان الملائم لحركة شخصياته، والأحداث التي تقع فيه، مع إمكانية التحرك في المكان أو مغادرته. ويعدّ المكان عنصراً فاعلًا في البناء القصص، حيث يتخذ أشكالًا تحتوي مضامين عدة، وذلك من خلال انعكاسه على العمل القصصي، ويعكس المكان ما يدور بخاطر الشخصيات من أحاسيس مفرحة أو محزنة، أو الشعور بالأمن والطمأنينة أو الخوف والقلق.

ووجود القصة مرتهن غالباً بوجود المكان ذاته، أي: قد يؤسّس المكان أحيانًا "علة وجود الأثر"(بورنوف، وأوليف، 1991م، 92)، إذ تأخذ القصة انسجامها من الارتباط اللصيق بين الحدث القصصي والمكان، فمثلاً في قصة (جامع العشري) للقاصّ المصري (فكري داود) يعدّ المكان البؤرة الضرورية في بناء القصة؛ حيث تبتدئ القصة بمطلع وصفي يسلط فيه القاصّ الأضواء على تفصيلات المكان: "خمسة عشر حمّاماً كبيراً، ودُشّان، يتعلق كل منهما بجدار حجرة متوسطة الاتساع، شاهقة الارتفاع، تفصلهم طرقة بعرض مترين عن ميضاءة للوضوء على هيئة مستطيل فقد أحد أضلاعه، تحوي ثلاثين صنبورًا للماء...."(حسمى، العدد 2، 37)، ولعلّ أهم ما يلفت النظر استخدام الكاتب التفاصيل الدقيقة التي تصف المكان القصصي من داخله، وإرغام المتلقي إلى الولوج إلى عالم القصة مقتنعًا بصدق ما يقول الكاتب عن واقعية عالمه القصصي.

ويهتمّ القاص في معالجة المكان فنّيًا بتقديم صورة دقيقة عن المكان كجزء لا يتجزأ عن باقي عناصر العمل القصصي، ويمنحه تأثيرًا جماليًا عميقًا في نفس المتلقي، من خلال عدد من الدلالات المكانية التي تضفي الحيوية والعمق للمكان المتفاعل مع الشخصيات، ويسعى القاصّ من خلال هذه الدلالات إلى التعبير عن المضامين التي يريد تحقيقها وتعميق "سطوة المكان" على القصة (حافظ، عدد 4، 1984، 72)، حتى يصعب على القارئ فصله من النص القصصي؛ لأنه "يمنح أحداثه التأثير الجمالي من خلال عدد من الدلالات المكانية النفسية والاجتماعية"(نعمان، 1999م، 74)، وقد أجاد القاصّ السعودي إبراهيم محمد النملة تعميق سطوة المكان من خلال التنقّل السلس بين عدة أمكنة متنوعة في قصته (لا حياة لي معها)، حيث يقول: "هنا في هذه المقبرة يصبح الضعف عدلًا...كان ابني يشدو بأنشودة الصباح التي سيلقيها في طابور الصباح، وهو واقف في المرتبة الخلفية من سيارتي.. وبعد أن دخل من دفتّي باب المدرسة وقبل أن أصل إلى نهاية الشارع سمعت صوته ينشد بالأنشودة... كان صوت المدير الذي يخبرني بأنّ ابني تعرّض لدهس سيارة، وتمّ نقله إلى المستشفى القريب...ركضت كالمجنون إلى سيارتي، وبسرعة لم أعتدها من قبل وصلت المستشفى.. هناك في غرفة الإسعاف المقابلة للاستقبال... دخلت الغرفة لتصطدم نظراتي بجسده الصغير مغطّى بالقماش الأبيض الملطخ بالدماء... لم أشعر بشيء سوى أنّني أفقت لأرى نفسي على سرير قماشه أبيض... لم تعد داري تحوي سوى الصمت والنظرات... حتى الخادمة انزوت في غرفتها.. سافرت وقالت لي عند بوابة المغادرة في المطار: "حين يعود محمد سأعود"... كان الصمت يشق جدران بيتنا برتابة... كل منا ينظر إلى الآخر، ومن ثمّ يحيل نظره إلى باب غرفة ألعاب محمد... في الأيام الأولى لوفاته سكنت زوجتي في دار أهلها... وحين عدنا إلى الدار لم نجد أي أثر من آثار وجود محمد! (حسمى، عدد3، 10، 11).

فقد تنقل القاصّ في أسلوب رشيق بين فضاءات عدة: (المقبرة – السيارة – المدرسة – السيارة – المستشفى – المطار – داره – دار أهل زوجته)، كما أجال قلمه ليتنقل في المكان الواحد حيث ولج عند الحديث عن داره إلى غرفة الخادمة (حتى الخادمة انزوت في غرفتها...)، وغرفة ابنه ذات الأثر المحزن (غرفة ألعاب محمد...)، كما تنقل في المستشفى من (غرفة الإسعاف المقابلة للاستقبال..) إلى غرفة أخرى رأى نفسه فيها بعد أن أفاق من هول الصدمة، كل هذه الفضاءات وظفها القاص لتحقيق وحدة الأثر والانطباع وتركيز الشعور لدى المتلقي بجرّه إلى مفردات مكانية تجعله يعيش الحدث ويتماهى مع السرد.

ويختار القاصّ المكان سواء أكان مغلقًا أم مفتوحًا، موحشًا أم أليفًا يضفي عليه "بعض المكونات المكانية صياغة جمالية للوصول إلى غاياته المحددة، ويترك حرية إنشاء المكونات الأخرى لمساحة المكان وفضائه وخيال المتلقي، وعن طريق السّرد يغذّى القاصّ خيال المتلقي، وذلك حين يصوّر حركة الشّخوص ضمن المكان، لأنّ الشخوص يتحركون دائمًا في مكان ما، ولهذا المكان بعض المكونات، وتنظيمها يؤخذ من تنظيم العناصر المحسوسة والمستمدة من الطبيعة"(مطر، 1989م، 23)، ويشير القاص في قصة (فتات الأمل) إلى المكان ويستخدم مكوناته، وأنها تستدعي بعضها بعضا، وهي تضفي قدرتها للتأثير على مجرى الحدث حيث يقول: " ... كلما أراد الهروب من حوار يدور داخل السيارة..كيف نهرب ممن نجتمع معه في السيارة إلا بادعاء الاستماع لشيء مهم في المذياع؟ كيف يسمح له غرور نفسه أن تتجاوزه فتاة في الشارع بسيارتها المرسيدس؟ (حسمى، العدد1، 2009، 38). والقاصّ يعيش الأمكنة في حياته، ويعيد خلقها في قصصه، من خلال تطوّر الأحداث ومنظور الشخصيات للمكان، وكيفية الإحساس به والتفاعل معه. ففي قصة "بنات غربتي" للنملة يقول القاص: "هناك خلف تلك الجبال يمكث وطني... اشتقت إلى حارتنا الضيقة... وحين وطئت قدمي أرض مطار بلدي لم يقل لي أحد: الحمد لله على السلامة... عدت إلى وطني من أرض الغربة لأجد وطني يحتضن الغربة..."(حسمى، عدد4، 48) فهو يعيش في تلك الأمكنة، ويمر عليه كثير من مثل تلك الأحداث، التي تشعر صاحبها بالمرارة والأسى. والقاصّ يظهر رؤيته الفلسفية للمكان من خلال تعددية المشاعر والأحاسيس والأفكار المتوالدة ضمن المكان، وما يثيره في نفوس الشخصيات، فالمكان يكتسب عمقًا وتأثيرًا جماليًا من خلال رؤية القاص وفلسفته. وفضاء المكان يتشكّل من خلال الشخصيات وأحداثها فيه، كما يعكس وجهة نظر القاص، ورؤيته المستقبلية والحاضرة، وهذا يقودنا إلى الاعتقاد بأن المكان شأنه شأن أي عنصر من عناصر البناء الفني، يتجدد عبر الممارسة الواعية للقاصّ، فهو ليس بناءً خارجيًّا مرئيًّا، ولا حيِّزًا محدد المساحة، ولا تركيبًا من غرف وأسجيه ونوافذ، بل هو كيان من الفعل المغير والمحتوي على تاريخ ما، والمضخمة أبعاده بتواريخ الضوء والظلمة. ويحتاج مثل هذا المكان إلى حيز مادي يتضح عبر، وينمو فيه، وإلا أصبحت كل البيوت أمكنة صالحة للفعل، فالمكان في الفن اختيار، والاختيار لغة ومعنى وفكرة ومقصد (النصير، 1986، 8).

5. المكان بين الواقع والمتخيل

المكان الذي يعالجه الكاتب في القصة القصيرة قد يكون له وجود حقيقي على سطح المعمورة، يلهم القاصّ باستدعاء تفصيلاته، وقد يكون متخيَّلاً، والمتخيّل هو: "بناء ذهني، أي إنّه نتاج فكري بالدرجة الأولى، وليس نتاجًا ماديًّا، في حين أنّ الواقع يحيل إلى ذاته، ويمكن القول بأنّ الأدب ينطلق من واقع ويعبّر عن واقع، والواقع: هو عبارة عن شبكة من العلاقات المادية: إنسانية، اجتماعية، حضارية، ثقافية، اقتصادية، سياسية، وأنّ أي عمل فني هو نتاج خيال مبدع، لكن هذا الخيال يختلف من فنان لآخر، ومن نوع أدبي إلى آخر، حيث يكون الخيال لدى الكاتب القصصي أقرب إلى الواقع بالنسبة إلى الأجناس الأدبية الأخرى، فالمادة القصصية تتجذر في الواقع والحياة الإنسانية"(خمري، 2002، 39).

ويستوعب القاصّ نفسه العلاقات الاجتماعية والثقافية المتبادلة بين الإنسان ومجتمعه، وارتباط هذه العلاقات بمكوّن المكان، لكن على الرغم من اتّكاء الكاتب القصصي على نقل الواقع الذي يعيشه أو يعرفه في مادته القصصية، فهو لا ينقل شخوصه وأحداثه والمكان الذي تدور فيه هذه الأحداث كما هو، فهو لا يقصد استعادة الحقيقة كما هي في الواقع لاستحالة ذلك، فالحقيقة في ذهن الفنان شيء يُخلق، وليس شيئًا موجودًا أصلًا، وما يرمون إليه هو إيجاد أعراف جديدة تستطيع أن تحدث بصورة أفضل إيهاما بالحياة الواقعية، عن طريق تضييق الشقة بين المحاكاة والرمزية للعالم الواقعي القصصي والعالم الواقعي نفسه (عباس، 1997، 44). ويستمد المكان في القصة القصيرة المنشورة في مجلة حسمى جمالياته أيضًا من خلال الإيهام بواقعيته، وإقناع المتلقي بضرورته، مع ترك مساحة يستكمل المتلقي عبر ها نسج بقية الخيوط المتقطعة وغير المكتملة، ويبني في مخيلته مالم يكتمل بناؤه، سواء أكان البناء معبرًا عن الواقع المعاش، أم آتيا عبر المتخيل الذهني للقاص، وعلى الرغم من اتّكاء الكاتب القصصي على نقل الواقع الذي يعيشه أو يعرفه في مادته القصصية، فهو لا ينقل شخوصه وأحداثه والمكان الذي تدور فيه هذه الأحداث كما هو، فهو لا يقصد استعادة الحقيقة كما هي في الواقع لاستحالة ذلك، فالحقيقة في ذهن القاصّ شيء يُخلق، وليس شيئًا موجودًا أصلًا، وما يرمون إليه هو إيجاد أعراف جديدة تستطيع أن تحدث بصورة أفضل إيهاما بالحياة الواقعية، عن طريق تضييق الشقة بين المحاكاة والرمزية للعالم الواقعي القصصي والعالم الواقعي نفسه. ويسعى القاصّ إلى خلق عالم متخيّل مقارب للواقع المعيش، ويحاول من خلال عمله صياغة الواقع صياغة جديدة، لذلك يمنح الأمكنة أسماء حقيقية معروفة في الواقع الخارجي؛ لأن تعيين المكان الذي يحتضن الحدث القصصي يعمل على الإيهام بواقعيته، فمثلًا في قصة (حب ودموع) تخيّرت القاصّة نالين عبد اللطيف (الولايات المتحدة الأمريكية) مسرحًا للقص، كما قدّم علوان السهيمي قصته (المتسولون يكتبون) على أرض باريس مؤكدًا الانطباع بواقعيتها من خلال السير في "شارع الشانزليزيه"، وكذلك فعل محمد معتصم في بناء قصته (سيمفونية النوارس) عندما نصّ على ذكر اسم المقهى (ديسدمونا) ، واستعان إبراهيم النملة بمدينة (الرياض) لإدخال المتلقي إلى فضاء حضري متسع: "ركبت سيارتي بعدما فكرت كثيرا في قراري الأخير...اتجهت إلى ذلك المبنى القابع في وسط مدينة الرياض...".

6. وصف المكان:

1.6. أنماط وصف المكان

يمكن تقسيم الوصف الذي أتبعه القاصّ للمكان في القصص القصيرة المنشورة في مجلة حسمى من حيث علاقته بالسرد إلى: الوصف الموجز البسيط، والآخر المفصّل المركّب، أمّا الأول: فيُعطَى من خلال جملة مهيمنة قصيرة لا تحتوي إلا على بعض التراكيب الوصفية الصغرى، ويكون ذلك حين يتم الاستغناء عن بعض الأجزاء والصفات، وهذا النمط من الوصف لا يستطيع مجاوزة دلالته المسخر لها من قبل السارد، ونظرًا لطبيعة السرد في القصة القصيرة المتّسمة بالاكتناز والإيجاز نجد هذا النمط من الوصف مستخدم كثيرًا لدى قصاص (حسمى)، حيث يكتفي القاصّ بصفة وحيدة للمكان، أو بصفتين على الأكثر، فمن الوصف القصير بكلمة واحدة في قصة (لا حياة لي معها) لإبراهيم النملة: "الدار الموحشة"(حسمى، العدد3، 12)، و"الأفق البعيد"(حسمى، العدد1، 2009، 16) في قصة (مسارب النمل) لطارق المرزوقي، ومن الوصف بكلمتين: "صف المخدات المتراصة"(السابق) في قصة (مسارب النمل)، و"النافذة الخشبية الزرقاء"(حسمى، العدد1، 2009، 23) في قصة (الرحيل) لفيصل الزوايدي، و"طاولة نصف مستديرة"(حسمى، العدد2، 15) في قصة (آن) لسهام الدهيم، و"صينية القش المزركشة" (حسمى، العدد2، 28) في قصة (عتب آت) لسمير أحمد الشريف...إلخ.

وأمّا النمط الثاني (الوصف المفصّل المركّب)، وهو الذي ينصبّ على الموصوف الذي ينتمي إليه السرد الروائي، ويكون هذا الوصف مركبًا أو معقدًا، إما بالانتقال من الموصوف إلى أجزائه ومكوناته، أو بالانتقال إلى المحيط الضام لهذا الموصوف أو المضموم ضمنه، من مثل: "إنهّم دفنوه تحت طلحة ضخمة ذات جذع داكن ضخم كثير الثقوب..."(حسمى، العدد1، 2009، 16) في (مسارب الرمل)، "وهكذا وجدتني بين أرفف قصيّة من المتجر تنوء بها الروائح..."(حسمى، العدد1، 2009، 35) في قصة (عامل إنتاج) لعلي محمود المجنوني، وأيضًا "كلما مررت بمسجد محطة الوقود على الخط الدائري الجنوبي..."(السابق). وقد يكون المكان الواحد هو محور السرد ومن ثمّ فإنّ القصّ مرتبط بتفصيلات أكثر تشعبًا وتركيبًا وتعقيدًا، مثل ما قامت عليه قصة (جامع العشري)، وغالبًا ما يكون الوصف بكلمات مثلما ذكرنا، ونادرًا ما يتم الوصف بالأرقام مثلما جاء في قصة (شيء لم يكتب) لمحمد معتصم: "عندما دخلت علينا ذاك المساء بالغرفة رقم 229" (حسمى، العدد1، 2009، 13).

2.6. تقنيات وصف المكان

ثمة تقنيتان معتمدتان للوصف في العمل القصصي: إحداهما تقنية الاستقصاء، والأخرى تقنية الانتقاء، ولأنّ القصة القصيرة لها طابعها الخاص الذي تتميز به عن الرواية، حيث إنّ الأولى تقوم على لحظة مكثفة، بخلاف الثانية ذات الطابع الزمني الممتد، فإنّ القصة القصيرة لا تمنح القاص فرصًا كثيرة للاستقصاء في الوصف، وإنما السبيل إلى ذلك هو تقنية الانتقاء، التي تعتمد على "انتقاء جملة من الأجزاء والصفات المحدودة من بين أجزاء وصفات الشيء الموصوف المتسمة بالتعددية"(محفوظ، 1992، 20). والحقيقة أنّ للقصة القصيرة امتدادًا طويلًا لدى المتلقي، ذلك أنها "تكسر عمود السرد: فلا تقول المعنى في تفاصيله واختلاف حالاته، وإنما تكتفي بالإشارة إليه فحسب، أو تسحبه من صمته، وتجريه في أرضها ملتقًّا بألفاظها حاضرًا فيها غائبًا معًا"(الشمري، 1433هـ، 23)، "وبين حضور المعنى وغيابه، تورّط القصة قارئها في فعل تأويلها، وإذ تورطه ترتقي به من حيز الانفعال بها إلى حيز الفاعلية فيها"(السابق، نفسه). وليس من طبيعة القصة القصيرة ولا من وظيفتها التنويع من أفضيتها وشخوصها وأحداثها؛ لأنها بالكاد تلملم حكايتها، فالسرد فيها مكتنز، والحكي موجز، والفضاء مقتضب، "ذلك أنها تباغت الشيء لتنصب عليه، راسمة منه الدالّ فيه، من ملمح وقول وحركة وفضاء، وفي خلال انصبابها تعد بالمعنى ولا تتحمل وزر الوفاء به؛ لأنها لا تريد أن تتعدى على حرمة القارئ في أن يتخير من وعودها ما يحقق أفق انتظاراته منها، ولا تبتغي له أن يحرم من لذة الخلق: خلق معانيه في مؤازرة مع معاني الكاتب"(السابق). وعن وظائف وصف المكان، فالوصف يستخدم لخلق إيقاع السرد، ومع هذا فإنّ وظائف الوصف يمكن ردها إلى ثلاثة: الوظيفة التفسيرية: ذلك أن مظاهر الحياة الخارجية من مدن ومنازل وأثاث وأدوات وملابس تذكر لأنها تكشف عن حياة الشخصية النفسية، وتشير إلى مزاجها وطبعها. والوظيفة الإيهامية: حين يعمل القاص على إدخال العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخييلي يعطي القارئ انطباعًا بأنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال (قاسم، 1992، 110، 111).

7. بيئة القاصّ وأثرها في تشكيل المكان القصصي

للبيئة الواقعية التي يحيا القاصّ في كنفها تأثير واضح في بناء المكان وإضفاء جماليّاته على العمل القصصي الذي يخلقه القاصّ، فكاتب القصة إذا كان يعيش الأمكنة في حياته حقيقةً، فإنه يعيد خلقها وتشكيلها في قصته من خلال تطوّر الأحداث، ومن خلال منظور الشخصيات للمكان، وكيفية الإحساس به والتفاعل معه. وقد كان للبيئة الصحراوية مثلًا وجود متعمق في القصص القصيرة السعودية المنشور في (حسمى)، وقد تعمّق القاص في تناول هذه البيئة بمختلف مفرداتها وتفصيلاتها؛

ففي قصة (مسارب الرمل) للقاص السعودي طارق المرزوقي مثلًا، نجد القصة قد تضمنت العديد من الأمكنة البرية، التي أضافت على السرد دلالات رمزية معبرة، بل إنّ عنوان القصة أيضًا اتكأ على المكان الصحراوي في تحقيق الأثر الاستقطابي لدى المتلقي (مسارب الرمل)، وأثناء القصة تتوارد الأمكنة المفتوحة ذات العمق الدلالي المعبر عن الأمل، وانشراح الصدر، والحرية، والتأمل والانطلاق...إلخ، مثل: (الأفق، الصحراء، الطلحة، الوادي، البير)، كما كانت (الخيمة) بعناصرها ومحتوياتها المتنوعة أيقونة للسرد في هذه القصة (حسمى، العدد1، 2009، 19، 20): "حافة الأفق البعيد خلف الخيمة تحديدًا"، "توغلت في غبش الأفق المزرق"، "في الجانب القريب من الصحراء أمامه.. داخل الخيمة يقع رجل سبعيني"، "كان يمر بالقرب من الخيام مصادفة"، "إنهم دفنوه تحت طلحة ضخمة ذات جذع داكن ضخم كثير الثقوب"، "رأى جدّه الأعمى الذي غيبه الموت يمشي داخل الخيمة بخطى واهنة"، "سار حتى وصل إلى العمود الأوسط للخيمة، فانكسر بحدة على طرف رواق الخيمة"، "يعرف تمامًا تلك اللحظات الأولى التي خطاها في قلب تلك الخيمة الكبيرة"، "صف المخدات المتراصة.. لصق القائم الخلفي للخيمة"، "تدفعه إلى حنين مفرط تجاه تلك الخيمة القابعة في رمل وادي (الخشابة)"، "تحلقت العائلة حول جدي في مكانه بالقرب من الخيمة كعادتهم كل مساء"، "وراء الخيام كان صوت ثغاء النعاج"، "أمي كانت تلوب الخيمة بخطى سريعة ومتوترة"، "كنت أتمنى لو أن في خيام جدي كهرباء تبدد هذه الظلمة"، "شاف بنت عند البير تروى قربتها"، "الفانوس المعلق على العمود الذي أركى على قائم الخيمة ينز ضوءًا شحيحا"، كان يفكر في تلك اللحظات التي سحرته ذات ربيع بعيد في وادي (الخشابة)".

وفي القصص القصيرة السعودية المنشورة في مجلة (حسمى) نجد أن القصة النسوية يغلب عليها استخدام الأماكن الخاصة المغلقة (غرفة/ حجرة/ شقة/ سرير... إلخ)، وهذا واضح في أكثر القصص المنشورة في حسمى، في حين يغلب على القصة الرجالية الأماكن المفتوحة (المدينة/الشارع/ الحي/ الفندق/ البر/ الصحراء...إلخ)، حيث ورد المكان (حجرة) مضافًا إلى ضمير الغائب المؤنث (حجرتها) لدى العنود البلوي في قصتها (شمعتان لنورا) ثلاث مرات (حسمى، العدد1، 2009، 9)، ووردت الأمكنة: (شقتي/ غرف شقتي/غرفة نومي) أكثر من مرة في قصة وفاء الطيب (ليس على تلك الصورة) (حسمى، العدد1، 2009، 28، 29)، وتراوح المكان بين (البيت وغرفتي) في قصة بسماء الجاهل (يائس) (حسمى، العدد2، 2010، 22)، ، ووردت مفردات (سريري/سلة مهملاتي/حجرتي الباردة/منزلي) في قصة نادية الفواز (مواء قطة جائعة) (حسمى، العدد2، 50)، وعلى الرغم من كون بعض الشخصيات في القصص النسوي السعودي ذكورية، إلا أنّ الغالب الأعم في بناء تلك القصص هو بناء القصّ على الأماكن المغلقة الخاصة، أو الأكثر خصوصية، وهذا مرده إلى طبيعة البيئة المحيطة التي تولى المرأة عناية خاصة في التستر والخصوصية، إنّ هذه الأمكنة هي عالم المرأة السعودية ومملكتها التي تجيد تذكر تفصيلاتها، وهي في الوقت نفسه لا تميل إلى استدعاء الأماكن المفتوحة التي لا تتعايش فيها، وذلك هو الأدب، فالأديب حتما ابن بيئته. أما القصة القصيرة السعودية الذكورية المنشورة في (حسمى) فإنّ أماكنها المفضلة (الشارع، والحي، والصحراء، والمدن، لا سيما البعيدة) ومن نماذج القصة السعودية الذكورية قصة (المتسولون يكتبون) لعلوان السهيمي، وفيها يجعل الكاتب بيئة القصّ مدينة (باريس): "هذه هي المرة الأولى التي أزور فيها باريس... فندقي المتواضع سيكون طريقًا لأغرب تسوّل رأيته في حياتي.... هل ترى تلك البقالة في زاوية الشارع؟ بدأت أسير متّجهًا إلى شارع (الشانزليزيه).... عندما انسللت من باب الفندق تنفست الصعداء.... اتجّهت إلى البقالة في الزاوية المقابلة من الشارع... جلسنا في زاوية قصية من ذلك المطعم... ذهبت إلى البقالة في زاوية الشارع.... سيارة الأجرة تنتظرني أمام باب الفندق.... تركت القصاصات الثلاث تتوسط سرير ذلك الفندق المتواضع. (حسمى، العدد6، 78).

ISSN: 2706-6495

8. الخاتمة ونتائج الدراسة:

من خلال هذه الدراسة توّصل الباحثان إلى عدد من الاستنتاجات، يذكران منها ما يلي:

- أنّ القصص القصيرة المنشورة في مجلة (حسمى) الصادرة عن النادي الأدبي بمنطقة تبوك لم تكن قاصرة على قصاص من تبوك أو المملكة العربية السعودية حسب، وإنما فتحت المجلة أبوابها لتنشر لعدد من القصّاص العرب على اختلاف جنسياتهم، إلا أنّ النتاج المنشور من القصص القصيرة السعودية هو الأكثر، ومن ثمّ كانت له خصائصه التي أفردت لها بعض نتائج البحث.
- تنوعت معالجات المكان فنيًّا لدي قصاص مجلة حسمى، فحينًا قد يؤسّس المكان للقصة بداية من العنوان، وأحيانًا يسعى القاصّ إلى التعبير عن المضامين من خلال تعميق سطوة المكان على القصة، حتى يصعب على القارئ فصله من النص القصصي؛ لأنه يمنح أحداثه التأثير الجمالي من خلال عدد من الدلالات النفسية والاجتماعية.
- وُظّف المكان في بعض القصص للتعبير عن الرؤية الفلسفية للقاصّ، فالقاصّ يظهر رؤيته الفلسفية للمكان من خلال تعددية المشاعر والأحاسيس والأفكار المتوالدة ضمن المكان، وما يثيره في نفوس الشخصيات.
- يستمد المكان في القصة القصيرة المنشورة في مجلة حسمى جمالياته أيضًا من خلال الإيهام بواقعيته، وإقناع المتلقي بضرورته، مع ترك مساحة يستكمل المتلقي عبرها نسج بقية الخيوط المتقطعة غير المكتملة، ويبني في مخيلته مالم يكتمل بناؤه، سواء أكان البناء معبرًا عن الواقع المعاش، أم آتيا عبر المتخيل الذهني للقاص.
- تختلف أشكال المكان الفني في القصص القصيرة المنشورة في مجلة حسمى تبعًا لاختلاف محتوى النصوص القصصية، وهذا يعني أنّ الشكل الذي يقدّم به المكان يرتبط ارتباطا وثيقًا بنمط الحكي، وبأسلوب القاص في استخدام أدواته الفنية في التعبير عن أفكاره ومشاعره.
- يمثّل الشارع في القصص القصيرة في مجلة (حسمى) أحد الفضاءات المفتوحة التي عبّر القاص من خلالها عن الصور والمفاهيم التي تساعدنا على تحديد سماتها الأساسية، والإمساك بمجموع القيم والدلالات المتصلة بها، وتُعدّ الصحراء من الأماكن المفتوحة التي تضمنتها القصة القصيرة السعودية المنشورة في مجلة (حسمى) وتميّزت في إضفاء طابع الشعرية في تناولها. أما الأمكنة المغلقة فهي ظاهرة مكانية مجتمعية، تؤثر في أشخاصها ويؤثرون فيها بما يملكون من عادات اجتماعية وأخلاقية.
- قد يذكر أكثر من مرة في القصة الواحدة بشكل لافت، وأحيانًا يذكر مرة واحدة؛ لأن القصّ متمحور حول وصف هذا المكان، أو حول حدث وقعت تفصيلاته في هذا المكان.
- كان الوصف في غالب القصص هو الأسلوب المتبع لتعرف المكان، وقد تنوع الوصف ما بين وجيز بسيط ومركب، ونهض التعامل مع المكان على منظورات شتى تنوعت بتنوع الاتجاهات والتصورات التي يحملها كل منهم عن وظيفة المكان داخل القص، وبما يمكن أن يؤديه وصف المكان من وظائف انطلاقاً من أن المكان يسهم في خلق المعنى داخل الرواية أو القصة، ولا يكون دائماً تابعاً أو سلبياً.
- تنوعت وظائف وصف المكان ما بين تفسيرية وإيهامية ورمزية، فالتفسيرية تقوم على أن مظاهر الحياة تكشف عن حياة الشخصية النفسية، وتشير إلى مزاجها وطبعها،

أما الإيهامية فإنها تعمل حين يدخل القاص العالم الخارجي بتفصيلاته الصغيرة في عالم القصة التخييلي، ويعطي انطباعاً للقارئ بأنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال، والرمزية يمكن استنتاجها من السياق الكلي للقصة.

- في القصص القصيرة السعودية المنشورة في مجلة حسمى نجد أن القصة النسوية يغلب عليها استخدام الأماكن الخاصة المغلقة (غرفة/ حجرة/ شقة/ سرير... إلخ)، وهذا واضح في أكثر القصص المنشورة في حسمى، في حين يغلب على القصة الرجالية الأماكن المفتوحة (المدينة/الشارع/ الحي/ الفندق/ البر/ الصحراء...إلخ). وعلى الرغم من كون بعض الشخصيات في القصص النسوي السعودي ذكورية إلا أنّ الغالب الأعم في بناء تلك القصص كما توصل الباحثان هو بناء القصّ على الأمكنة المغلقة الخاصة، أو الأكثر خصوصية، وهذا مرده إلى طبيعة البيئة المحيطة التي تولى المرأة عناية خاصة في التستر والخصوصية.
- للبيئة تأثير كبير في بناء المكان في القصّ وإضفاء جمالياته على العمل القصصي، فالقاصّ يعيش الأمكنة في حياته، ويعيد خلقها في قصصه، من خلال تطوّر الأحداث ومنظور الشخصيات للمكان، وكيفية الإحساس به والتفاعل معه، وقد كان للبيئة الصحراوية (السعودية) وجود متعمق في بعض القصص القصيرة المنشورة في مجلة حسمى.

9. المراجع

- باشلار، غاستون. (2000م). جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، ط5. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- حافظ، صبري. (1984). الحداثة والتجسيد المكاني للرؤية الروائية، مجلة فصول. عدد4.
- حسين، فهد، (2003). المكان في الرواية البحرينية، ط1. فراديس للنشر والتوزيع.
- الشمري: شيمة. (1433هـ). الاتجاهات الفنية في القصة القصيرة السعودية، مجلة الجوبة (ملف ثقافي ربع سنوي يصدر عن مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية) / العدد (36).
- رشدي، رشاد. (د.ت). فن القصة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
- قاسم، سيزا أحمد. (2004م). بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- لحميداني، حميد. (1991). بنية النصّ السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي.
- محفوظ، عبد اللطيف. (1992م). وظيفة الوصف في الرواية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- مرتاض، عبد الملك. (1995م). تحليل الخطاب السردي: معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، (د.ط). ديوان المطبوعات الجامعية.
- مرتاض، عبد الملك. (1992م). دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة (أين ليلاي؟) لمحمد العيد آل خليفة، (د.ط). ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- مرزوقي، سمير؛ وشاكر، جميل. (1985). مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر.
- مطر، أميرة حلمي. (1989). مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، ط1. دار المعارف.

ISSN: 2706-6495

- مجدي وهبة، وكامل المهندس. (1984م). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. الطبعة الثانية. 292، مكتبة لبنان – بيروت.
- نجم، محمد يوسف. (1979م). فن القصة، ط7. دار الثقافة، بيروت.
- نجمي، حسن. (2000م). شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، ط1. المركز الثقافي العربي.
- النصير، ياسين. (1986م). إشكالية المكان في النص الأدبي دراسة نقدية، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد.

المجلات:

- مجلة حسمى، دورية إبداعية من إصدارات النادي الأدبي بتبوك، العدد الأول/ مايو 2009، والسابع سبتمبر 2012.

ملاحق البحث

صورة (1) (غلاف العدد الأول من مجلة حسمى)

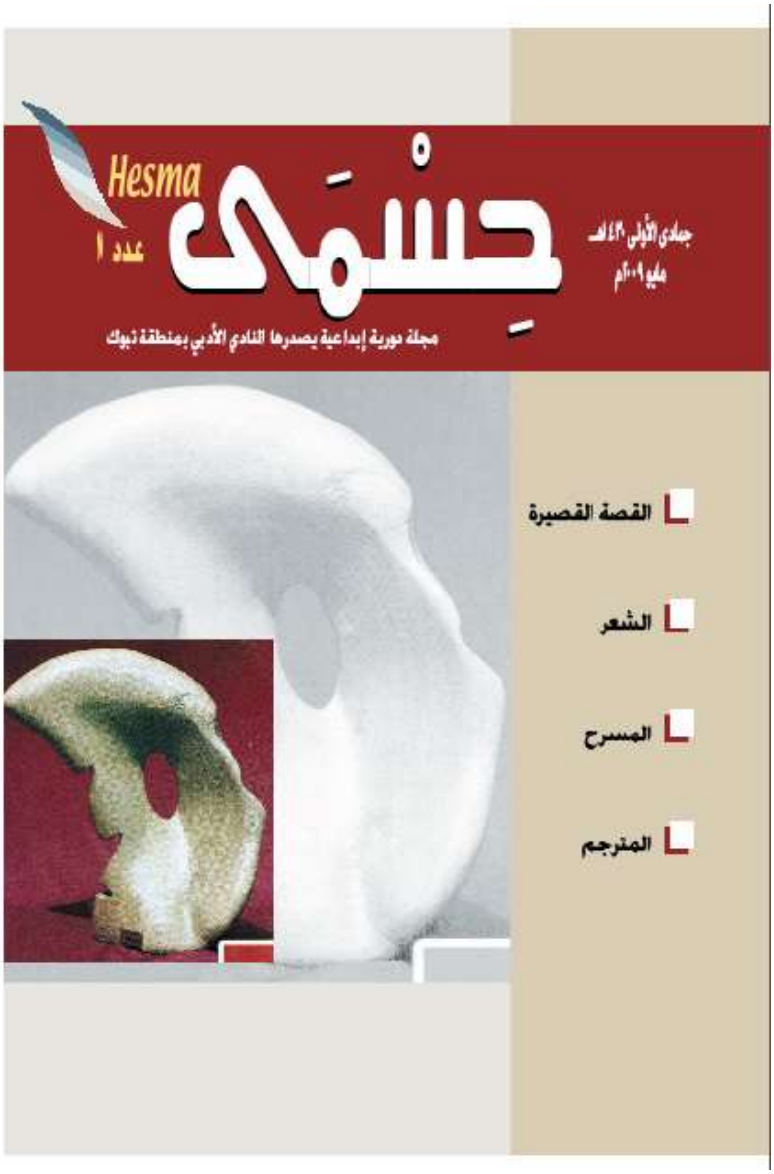

ISSN: 2706-6495

صورة (2)

(غلاف العدد السابع من مجلة حسمى)

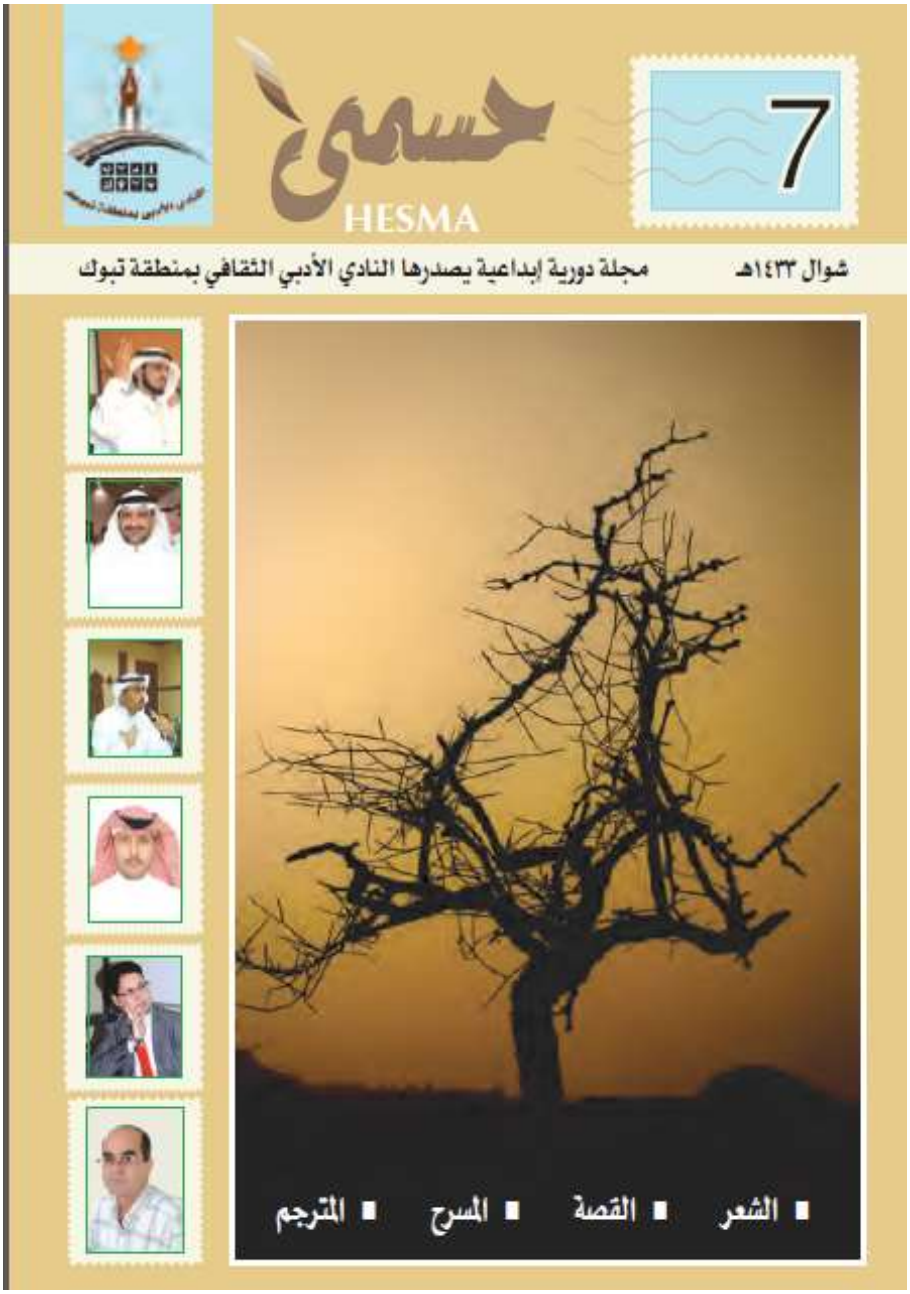

ISSN: 2706-6495

صورة (3)

(عناوين القصص القصيرة المنشورة في العدد الأول من مجلة حسمى)

ISSN: 2706-6495

صورة (4)

(عناوين القصص القصيرة المنشورة في العدد الثاني من مجلة حسمى)

محتويات العدد

4

حسمى

افتتاحية العدد

7	الإبداع والمبدعين	د. مسعد العطوي

القصة القصيرة

9	احتجاجاً على ساعي البريد	هشام بن الشاوي
12	أغنية الحطاب الأحدب	ناصر سالم الجاسم
15	أن	سهام الذهيم
21	يائس	بسماء علي الجاهل
23	السلطان والملكة	سلطان العطيقي
26	عتب!!!!!!	سمير أحمد الشريف
30	شموخ الذكرى	نورة عبد العزيز العقيل
33	عريدة الفراغ	هشام محمد
35	فتاة النص	ليلى الأحيدب
37	جامع العشري	فكري داود
42	تجليات الخفة	محمد عطية محمود
46	كان اسمه طلال	أضواء محمد الوابل
49	حلتين فقدك	ماجد بن محمد
50	مواء قطة جائعة	نادية الفواز
52	وهم	أحمد إبراهيم زين
54	قصص قصيرة جداً	شيماء الشمري

الشعر

57	سكرة	إبراهيم قهوايجي
58	أروقة الغياب	أحلام منصور الحميد
61	القلعة	أحمد الواقي

جميع الحقوق محفوظة © 2023، الدكتور/ علي يحيى نصر عبد الرحيم، الدكتور/ محمد مصطفى ليلة، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي. (CC BY NC)

Doi: https://doi.org/10.52132/Ajrsp/v4.45.9